الجنوب اللبناني واداء دورها القتالي في شمال فلسطين . وقد كان هذا الانهيار نتيجة طبيعية لانفتاح أكثر من جبهة مع العدو بحيث سقطت الحجة القديمة القائلة ان صمت الجبهات العربية الاخرى يكفي تبريرا لوقف النشاط الفلسطيني المسلح من الحدود اللبنانية . كما ان الحماس الشعبي الواسع والانتصارات العسكرية التي حققتها الجيوش العربية كانت رادعا لاية محاولة أو نية محاولة لوقف النشاط العسكري الفلسطيني من الحدود اللبنانية . وفي اليوم التالي لاندلاع القتال أعلن البلاغ رقم ٩ الصادر عن القيادة العامة لقوات الثورة ما يلي : « قامت وحدات المدفعية والصواريخ التابعة لقواتنا بجنوب لبنان بقصف شديد ومركز على كل من مستعمرتي المنارة وهونين » . وبذلك كان هذا البلاغ اقرارا لواقع لا يمكن تجاوزه تمثل في حق الثورة في أن تعمل من مختلف الجبهات لا يحكمها سوى تكتيكات القتال وقرارات الثورة نفسها العسكرية والسياسية .

كانت الجبهة التي فتحتها الثورة في شمال فلسطين منطلقة من الجنوب اللبناني مؤثرة دفعت العميد (احتياط) حاييم هرتسوغ الى التصريح للاذاعة الاسرائيلية (١٠/١٠) بقوله « في هذه الليلة فتحت جبهة أخرى ، على الرغم من صغرها ، ولكن على كل حال تعتبر جبهة . والمقصود هنا النشاط التخريبي من وراء الحدود ضد مستوطناتنا » . وقد جاء هذا الاعتراف من الجانب الاسرائيلي بعد فترة من التعتيم مارسه الاعلام الاسرائيلي على عمليات الثورة الفلسطينية . الا أن اسرائيل نتيجة وطأة العمل العسكري في مستوطنات الجنوب اضطرت بين فترة وأخرى الى الاعتراف بذلك وان كانت تحاول اخفاء خسائرها الحقيقية . وفي ٧٣/١٠/٢١ قال ناطق عسكري اسرائيلي ان الفدائيين هاجموا ست مناطق دفعة واحدة . وفي يوم ١٠/٢٢ اعترف الناطق بأن الفدائيين قاموا منذ اندلاع الحرب بالهجوم على ٤٢ مستعمرة وبلغ عدد هجماتهم ٢٠٠ هجوم ، اي بمعدل ١٢ هجوما في اليوم الواحد .

هذا على الجبهة الشمالية ، أما على الجبهة الاردنية أطول خطوط المواجهة مع العدو ، فقد كان الامر مختلفا تماما . فقد كان حسين أعلن أكثر من مرة في الفترة ما بين تموز ١٩٧١ وتشرين ١٩٧٣ انه لن يسمح لاحد بأن « يستدرجه » للحرب مع اسرائيل . غير ان قيادة الثورة سعت جهدها لفتح جبهة قتالية انطلاقا من شرق الاردن لما تتمتع به هذه المنطقة من ميزات استراتيجية لمصلحة الثورة . وقد أرسلت القيادة وفدا فلسطينيا الى الاردن بتاريخ ٧٣/١٠/٩ واجتمع بزيد الرفاعي ، رئيس وزراء الاردن ، وطلب الوفد أن يسمح للفدائيين بأن يمروا للقيام بواجبهم عبر النهر في الارض المحتلة . الا أن السلطة الاردنية رفضت ذلك رفضا قاطعا . وقد أبلغت قيادة المقاومة الرئيس السادات بذلك وطلبت اليه أن يتدخل لدى الملك . وتدخل السادات فعلا وطرح على الملك أن تكون القوات الفدائية تحت امرة عدد من الضباط المصريين . وبالفعل أرسل السادات سبعة عشر ضابطا من مختلف الرتب أقلتهم طائرة خاصة الى تبوك في المملكة السعودية حيث توجهوا بالسيارات الى عمان ومكثوا هناك ينتظرون أن يقابلهم الملك الذي رفض ذلك فعادوا من حيث أتوا . غير ان المقاومة حاولت أن تفتح الجبهة الاردنية بالامر الواقع . فتوجه عدد من المقاتلين الفلسطينيين الى شرق الاردن وتمكن ثمانون منهم من اجتياز النهر الى الارض المحتلة بينما وقع ١٢٦ مقاتلا في أسر القوات الاردنية .

• • •

ان الخبرة الفلسطينية في الحرب الرابعة هي وليدة سنوات طويلة من النضال والتضحيات تكثفت وتفجرت في أكثر من ميدان وشكلت « الجبهة الثالثة » التي كانت عنصرا حاسما في كسب الحرب واختلال ميزان القوى لجانب المصلحة العربية .